توفيق الرحمن في اتباع

النبي العدنان ﷺ

وقفات تدبرية









توفيق الرحمن

في

اتباع

النبي العدنان ﷺ

أو

إيضاح المحجة للقائلين بأن الترك من النبي ﷺ ليس بحجة

تأليف

د. هيثم بن محمد بن حمدان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ أبو داود الدمياطي

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين ، أما بعد :

فقد قرأت كتاب أخينا الدكتور هيثم بن محمد بن حمدان – حفظه الله تعالي ونفع به الإسلام والمسلمين – فرأيته قد حوى علمًا جمًا ، وفائدةً جليلةً نافعةً ، ومادةً ناجعةً ، وقد صدق من قال :

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

وقد رام مؤلفه أن يحث علي اتباع السنة وترك البدعة ؛ فأسأل الله بمنه وكرمه أن يثيب أخانا الفاضل علي هذا النفس المبارك في الحرص علي السنة وحبها وحض الناس علي اتباعها آمين..آمين وصلي الله وسلم علي نبينا محمد وآله أجمعين .

وكتب العبد الفقير إلى عفو ربه المعبود

يحيى بن مسعد آل حزه أبو داود

تحريرًا في ٥ يناير ٢٠١٥م

الموافق ١٤ ربيع الأول ١٤٣٦هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " [آل عمران:١٠٢]

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [النساء:١]

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)" [الأحزاب ٧١:٧٠]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن المتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية يجد أن عزها وظهورها وعلو نجمها يتناسب تناسبًا تلازميًا مع تمسك الأمة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، وأنا هنا – حتى لا يأتي من يتبجح ويقول كم رأينا من دولة طبقت الشريعة الإسلامية و ما رأينا هذا العز الذي تزعمون – لا أقصد التمسك السطحي الذي يعتني ببعض الأمور دون بعض بل أقصد التمسك الحقيقي الذي ينعكس إيجابًا



وبقوة في جميع مجالات الحياة فيفرز نهضة ليست في مجال العلوم الشرعية فحسب بل تتعداها لتشمل المجال الاقتصادي والعسكري والعلمي التجريبي ....إلخ.

قد يقول قائل : كيف يمكن أن يفرز التمسك بالقرآن والسنة تقدمًا ونهضةً في المجال الاقتصادي والعسكري وغير ذلك ؟!!

والجواب بمنتهي البساطة يكمن في هذه الشريعة الإسلامية العظيمة الكاملة :

(١) فشريعتنا الإسلامية تجعل من المهن المختلفة فروض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن البعض الآخر وإلا أثم الجميع.

(٢) وشريعتنا الإسلامية تحث علي إتقان العمل ؛ روي البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ١٨٨٠] عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» .

(٣) وشريعتنا الإسلامية تهتم بإخلاص النية لله تبارك وتعالي وحده لا شريك له ، فالطبيب والمهندس والصيدلي والمزارع والنجار والحداد كل يعمل في مجاله وعينه علي الآخرة فهو يعمل ليس فقط سعيًا علي معاشه بل لرفع الحرج عن المسلمين وتقوية شوكتهم وعدم احتياجهم إلي غيرهم وأكرم بها من أهداف جليلة ومقاصد نبيلة نرجو للساعين بها الفوز برضا الله والجنة وهذه هي الغاية الأسمى والأمنية الكبرى لكل مسلم .

روي البخاري ومسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»

(٤) وشريعتنا الإسلامية تهتم بقضية الولاء والبراء فالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكفر والكافرين يجب أن يكون شعار كل مسلم في كل خطوة يخطوها في حياته .

قال تعالي : " إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ{٥٥} وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ{٥٦} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " [المائدة:٥٥-٥٧]

وقال تعالي : " لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [المجادلة : ٢٢]

كم كنت أحزن عندما أسمع عن عالم مسلم قد باع خلاصة علمه وعصارة فكره لدولة كافرة لا تألوا جهدًا في تسخير هذا العلم لقتل وإذلال المسلمين وتري ما هو المقابل ؟!! ثمن بخس دراهم معدودة ودنيا فانية لن تغني عنه في الآخرة شيئًا ، وهذا الأمر يدل علي خلل كبير في عقيدة الولاء والبراء في قلوب كثير من المسلمين في هذا العصر الذي صار الجهل فيه يخيم بوجهه القبيح علي أرض المسلمين .

إن المتأمل في أحوال المسلمين في الوقت الحالي يكاد يموت كمدًا عندما يري دماء المسلمين تسيل أنهارًا في كل مكان ، وليت هذه الدماء كانت وقودًا يحركهم ويحثهم علي الاجتماع علي كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ لكننا وجدنا تفرقًا وتشرذمًا وأثرةً وانكفاءً علي الذات بشكل يثير الاشمئزاز وليس هذا فحسب بل إن هناك تردٍ مروع لأوضاع المسلمين علي كافة المستويات ، وهنا يتساءل البعض ما سبب ذلك التردي ؟!

يأتي الجواب مباشرة في قرآننا العظيم ؛ قال تعالي " أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [آل عمران : ١٦٥]

وهذه الآية العظيمة من سورة آل عمران جاءت في سياق الحديث عن غزوة أحد ، وكيف أن معصية واحدة من بعض المسلمين للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عندما ترك الرماة أماكنهم ونزلوا من علي الجبل لجمع الغنائم – كانت سببًا في تحول النصر إلى هزيمة ذاق المسلمون مرارتها والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم ، حتى يتعلم المسلمون أن امتثال أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو طريق النصر والفوز الوحيد في الدنيا والآخرة.

وبدلًا من أن يعي المسلمون – في العصر الحاضر – هذه الحقيقة ويعضوا علي سنة نبيهم بالنواجذ ، راحت الهوة تزداد بينهم وبين السنة تارةً بسبب الجهل وتارةً بسبب التقليد الأعمى وتتبع الرخص وتارةً بسبب الكبر وكانت الطامة الكبرى عندما جاءنا بعض المنسوبين إلي العلم الشرعي بأصول فاسدة ليس لها حظ من دليل من القرآن ولا من السنة ليدخلوا في ديننا ما ليس منه ، ويفتحوا الباب علي مصراعيه لنشر البدع والمخالفات ، فكان أن زعم هؤلاء أن الترك من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بحجة ، أي أن ما تركه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العبادات لا يلزمنا أن نتركه طالما أنها تندرج تحت أصل عام واعتمادًا علي تقريرهم ذاك صدرت فتاواهم بجواز الاحتفال بالمولد النبوي، وإحياء ليلة النصف من شعبان ، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج ، وقراءة الفاتحة عند الخطبة وعلي الأموات وعند إبرام عقود البيع والشراء إلي آخر هذه السلسلة من الفتاوى التي لا تقوم علي قدم ولا ساق .

وأنا أتساءل : لمَ لم يفعل النبي صلي الله عليه وسلم هذه الأشياء وهو أحرص الناس علي طاعة ربه وأكثرهم خشيةً له ؟!! ولمَ لم يفهم النبي صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام ما فهمتموه أنتم من هذا الأصل العام ؟!!

أقول : لو كان ذلك خيرًا لسبقونا إليه ، وهذا تمهيد لعديد من الوقفات نقفها مع إخواننا الذين حادوا عن سبيل الرشاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا :

الوقفة الأولي : وجوب اتباع سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوقفة الثانية : كيف نفهم سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الوقفة الثالثة : ما كان دينًا في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو اليوم لنا دين وما ليس بدين في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس لنا اليوم بدين .

الوقفة الرابعة : السكوت عن أمر في مقام البيان يفيد الحصر .

الوقفة الخامسة :الأصل في العبادات التوقيف.

الوقفة السادسة: ما معني السنة التركية ؟ وكيف تعامل الصحابة مع الترك من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الوقفة السابعة : لا يلزم من كون العبادة المخترعة بدعة أن صاحبها مبتدع .

الوقفة الثامنة : الحقُ أحقُ أن يتبع .

أسأل الله أن يوفقنا جميعًا للعمل بكتابه وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أنسي أن أتقدم بخالص الشكر لشيخنا الحبيب فضيلة الشيخ أبي داود الدمياطي علي ما بذله من جهد في مراجعة هذا الكتاب ، أسأل الله أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته، وأن يبارك له في عمره وعلمه وأهله وماله، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

كتبه

الراجي رحمة ربه

أبو البراء الدمياطي هيثم بن محمد بن حمدان

haythamhemdan164@yahoo.com

الوقفة الأولي :

وجوب اتباع سنة النبي صلي الله عليه وسلم والتحذير من مخالفتها

إن متابعة السنة هي الصراط المستقيم والدين القويم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج ولم لا؟ ونحن نتبع النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وخير الخلق أجمعين وقد أمرنا الله بطاعته في أكثر من موضع من كتابه ، فلنتدبر إذاً هذه الآيات ولنقرأها بقلوبنا عسى الله أن يهدينا بها:

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢]

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] .

- قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[محمد:٣٣] .

- قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] .

- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢] .

وفي آيات أخرى كثيرة أمرنا الله عز وجل بعدم مخالفة رسوله الكريم ﷺ ، وحذرنا من عصيانه ، وتوعد من يخالفه بالعذاب الأليم ، ونفي الإيمان عمن لا يتبع حكمه ومما ورد بشأن ذلك في القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] .

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣] .

- قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] .

- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] .

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١] .

- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء:١٤] .

لقد أرشدنا رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة إلى سبيل النجاة وهو لزوم سنته وحذرنا من الانحراف عن هذا الطريق المستقيم:

- روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟

قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

- روى مسلم عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

- روى البخاري ومسلم عن أبي بردة عن أبي موسى - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» .

وفي هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فوائد عظيمة ومعانٍ جليلة لخصها لنا الشيخ الألباني رحمه الله في النقاط التالية :

١ – أنه لا فرق بين قضاء الله وقضاء رسوله ﷺ ، وأن كلا منهما ، ليس للمؤمن الخيرة في أن يخالفهما ، وأن عصيان الرسول كعصيان الله تعالى ، وأنه ضلال مبين .

٢ – أنه لا يجوز التقدم بين يدي الرسول ﷺ كما لا يجوز التقدم بين يدي الله تعالى ، وهو كناية عن عدم جواز مخالفة سنته ، قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٥٨) : (أي لا تقولوا حتى يقول، وتأمروا حتى يأمر ، ولا تفتوا حتى يفتي ، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضي.)

٣– أن التولي عن طاعة الرسول ﷺ إنما هو من شأن الكافرين .

٤ – أن المطيع للرسول ﷺ مطيع لله تعالى .

٥ – وجوب الرد والرجوع عند التنازع والاختلاف في شيء من أمور الدين إلى الله وإلى الرسول ﷺ ، قال ابن القيم (١/ ٥٤) :

(فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل (يعني قوله : وأطيعوا الرسول) إعلاماً بأن طاعته تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب ، أو لم يكن فيه ، فإنه " أوتي الكتاب ومثله معه " ، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالًا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول.) ومن المتفق عليه عند العلماء أن الرد إلى الله إنما هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ، هو الرد إليه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته ، وأن ذلك من شروط الإيمان .

٦ – أن الرضى بالتنازع ، بترك الرجوع إلى السنة للخلاص من هذا التنازع سبب هام في نظر الشرع لإخفاق المسلمين في جميع جهودهم ، ولذهاب قوتهم وشوكتهم .

٧– التحذير من مخالفة الرسول ﷺ لما لها من العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة .

٨– استحقاق المخالفين لأمره ﷺ الفتنة في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة .



٩- وجوب الاستجابة لدعوة الرسول ﷺ وأمره ، وأنها سبب الحياة الطيبة ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

١٠- أن طاعة النبي ﷺ سبب لدخول الجنة والفوز العظيم ، وأن معصيته وتجاوز حدوده سبب لدخول النار والعذاب المهين .

١١- أن من صفات المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر أنهم إذا دعوا إلى أن يتحاكموا إلى الرسول ﷺ وإلى سنته ، لا يستجيبون لذلك ، بل يصدون عنه صدوداً .

١٢- وأن المؤمنين على خلاف المنافقين ، فإنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى الرسول ﷺ بادروا إلى الاستجابة لذلك ، وقالوا بلسان حالهم ومقالهم : " سمعنا وأطعنا " ، وأنهم بذلك يصيرون مفلحين ، ويكونون من الفائزين بجنات النعيم .

١٣- كل ما أمرنا به الرسول ﷺ يجب علينا اتباعه فيه ، كما يجب علينا أن ننتهي عن كل ما نهانا عنه ، لأنه أسوتنا وقدوتنا في كل أمور ديننا إذا كنا ممن يرجو الله واليوم الآخر .

١٤- وأن كل ما نطق به رسول الله ﷺ مما لا صلة بالدين والأمور الغيبية التي لا تعرف بالعقل ولا بالتجربة فهو وحي من الله إليه . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

١٥- وأن سنته هي بيان لما أنزل إليه من القرآن .

١٦- وأن القرآن لا يغني عن السنة ، بل هي مثله في وجوب الطاعة والاتباع ، وأن المستغني به عنها مخالف للرسول عليه الصلاة والسلام غير مطيع له ، فهو بذلك مخالف لما سبق من الآيات .

١٧- أن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله ، وكذلك كل شيء جاء به رسول الله مما ليس في القرآن ، فهو مثل ما لو جاء في القرآن لعموم قوله : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ".

١٨- أن العصمة من الانحراف والضلال إنما هو التمسك بالكتاب والسنة ، وأن ذلك حكم مستمر إلى يوم القيامة ، فلا يجوز التفريق بين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

الوقفة الثانية :

كيف نفهم سنة النبي صلي الله عليه وسلم ؟

إذا أردنا أن نفهم نصوص الكتاب والسنة على وفق مراد الله عز وجل ومراد رسوله ﷺ فعلينا بفهم الصحابة ومَن تبعهم بإحسان وهؤلاء هم سلفنا الصالح، وهنا يطل سؤال برأسه : لماذا ننادي في الناس بوجوب التزام فهم الصحابة لنصوص الكتاب والسنة ؟

والجواب هو أن الصحابة قد تميزوا بمميزات لم تتوافر لغيرهم وهي :

١-صحبة النبي ﷺ : وهذا يقتضي أن الصحابة قد شاهدوا التنزيل وعلموا التأويل وعرفوا مقاصد الشريعة.

٢- الصحابة هم أهل اللغة العربية وسادتها .

قال الشيخ عبد الله الجديع في كتابه تيسير علم أصول الفقه:" وأمَّا تفسيرُهُم للنُّصوصِ من الكتابِ والسُّنَّة من جهةِ ما تدلُّ عليه ألفاظُها في استعمالِ اللِّسانِ؛ فهوَ حُجَّةٌ، وهو أعلى وأقوَى ممَّا يُذكرُ عن آحادِ أئمَّةِ اللُّغةِ بعدَهُم، لأنَّهُم كما لا يخفَى أهلُ اللِّسانِ، فكيفَ وقدِ انضمَّ إلى ذلكَ معرفَتُهُم بمُرادِ الشَّارعِ فيما يستعملُه من تلكَ الألفاظِ؟"

٣-تزكية الصحابة في القرآن والسنة :

قال تعالى:{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح:٢٩].

وقد زكاهم النبي ﷺ أيضاً في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "النجوم أمنة

السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون "

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» .

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟

قال: «أقراني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته» .

وروى مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟

قال: «القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث» .

٤-الإشارة إلي وجوب اتباع سبيل الصحابة في القرآن الكريم :

قال تعالي :{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠].

وقال تعالي : {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[البقرة :١٣٧]

٥-تصريح النبي ﷺ في حديث عظيم واضح الدلالة أن سبيل النجاة الوحيد هو التزام هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام في فهم الدين وتطبيقه في الاعتقاد والمنهج والعلم والعمل :

روى الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم ٥٣٤٣] عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ : " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة.

قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي."

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: " من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".

قال ابن تيمية – رحمه الله –: " من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين: فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " وقوله ﷺ : فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضواً عليها بالنواجذ . هذا إخبار منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات، وهذا موافق لما روى عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي ما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله".

الوقفة الثالثة :

ما كان دينًا في زمن النبي صلي الله عليه وسلم فهو اليوم لنا دين وما ليس بدين في زمن النبي صلي الله عليه وسلم فليس لنا اليوم بدين .

مما لا شك فيه أن نعم الله تعالى علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى: { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } (النحل: ١٨)، ومن نعم الله علينا أن أكمل علينا هذا الدين وأتمّه ثم رضيه لنا، كما قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } (المائدة٣)، وكانت اليهود تحسد المسلمين علي هذه الآية، كما جاء في الصحيحين عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر -رضي الله عنه-، فقال: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا نزلت معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال عمر: وأي آية؟ قال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } (المائدة: ٣)، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعرفات في يوم جمعة.

وعلى هذا فإن كل مَن يأتي بجديد في هذا الدين، فقد اتهم الدين بالنقص، واتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخيانة في أداء الرسالة. ونحن نشهد بأن الدين كَمُل، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، فقد وقف علي عرفات في حجة الوداع فقال للصحابة: "ألا هل بلغت؟" فقال الصحابة جميعاً: نعم. فقال: "اللهم فاشهد".بل شهد الأعداء بهذا، فقد أخرج الإمام مسلم أن يهودياً قال لسلمان -رضي الله عنه-: " قد علَّمكم نبيكم كل شيء، حتى

الخراءة." لكن هناك مَن حاد عن الجادَّة، واستهوته الشياطين، فراح يستحسن بعقله في شرع الله، ويبتدع فيه ويُدخل فيه ما ليس منه، كما كان من بعضهم أن أدخل بدعة المولد النبوي في الإسلام، وجعلها من الدين حتى أصبحت سُنَّة رُفعت لها الأعلام، ونُصبت لها السرادقات ويستعد لها الناس في كل عام، وكل مَن قام ينكر هذه البدعة وينادي ببطلانها ونقضها فإنهم يتهمونه في دينه، وأنه لا يحب النبي -رضي الله عنه-، فأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

روي الدارمي والحاكم بسند صحيح عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربوا فيها الصغير ويتخذها الناسُ سُنَّة فإذا غُيّرت، قالوا غُيِّرت السنة".

وكان عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– يقول: " ألا وإني أعالج أمراً لا يعينُ عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحقَّ غيره."

الآن يأتي سؤال : هل نتفق أن الاحتفال بالمولد النبوي وقراءة الفاتحة قبل الخطبة وعند إبرام عقود البيع والشراء إن كان خيراً فهو من الإسلام وإن لم يكن خيراً فليس من الإسلام ؟

ويوم أُنزلت هذه الآية : ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)) لم تكن تلك العبادات المخترعة موجودة ؛ فكيف تكون دينًا لنا الآن ؟

قال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة – رحمه الله – :

" من ابتدع في الإسلام بدعة – لاحظ يقول بدعة واحدة وليس بدعًا كثيرة – يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة " .

وهذا شيء خطير جداً ، ما الدليل يا إمام ؟

- قال الإمام مالك : اقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى :



((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))

فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً ." انتهى كلامه .

- قال الشيخ الألباني –رحمه الله – تعليقًا علي هذا الأثر ما فحواه :

(متى قال الإمام مالك هذا الكلام ؟ في القرن الثاني من الهجرة ،أحد القرون المشهود لها بالخيرية ! فما بالك بالقرن الخامس عشر ؟!

هذا كلامٌ يُكتب بماء الذهب ؛ لكننا غافلون عن كتاب الله تعالى ، وعن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أقوال الأئمة الذين نزعم نحن أننا نقتدي بهم وهيهات هيهات ، بيننا وبينهم في القدوة بُعد المشرقين .

هذا إمام دار الهجرة يقول بلسانٍ عربيٍ مبين : "فما لم يكن يومئذٍ دينًا ؛ فلا يكون اليوم دينًا".)



الوقفة الرابعة :

السكوت عن أمر في مقام البيان يفيد الحصر.

وإلى هذه القاعدة المقررة يشير ابن حزم في كثير من استدلالاته بقوله تعالى: (وما كان ربك نسيا) وذلك لأنه إذا كان الله لا ينسى- وتنزه ربنا عن النسيان وعن كل نقص- فسكوته سبحانه أو سكوت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المبلغ عنه في معرض البيان لشيء من أفعال المكلفين عن شيء آخر يشبهه أو يجانسه، لا يكون نسيانا أو ذهولاً -تعالى الله عن ذلك- ولكنه يفيد قصر الحكم عن ذلك الشئ المبين حكمه، ويكون ما عداه وهو المسكوت عنه مخالفًا له في الحكم، فإن كان المنصوص عليه بالبيان مأذونًا فيه كان المسكوت عنه ممنوعًا، وان كان العكس فالعكس، وهو معنى قولهم: السكوت في معرض البيان يفيد الحصر، وهي قاعدة عظيمة بني عليها العلماء كثيرًا من الأحكام ، ويتفرَّع عن هذه المسألةِ: أنَّ الدَّليلَ إذا جاءَ ببيانِ حكمٍ في قضيَّةٍ وسكتَ عن زيادَةِ التَّفصيلِ مع اقتضاءِ المقامِ بيانَ المسكوتِ عنهُ لوْ كانَ من جملةِ المطلُوبِ، فذلكَ دالٌّ على عدَمِ إرادَةِ الشَّارعِ لهُ، لأنَّهُ لو أرادَهُ لما صحَّ سُكُوتُهُ عنهُ في موضعٍ يحتاجُ فيه المكلَّفُ إلى معرفةِ الحُكمِ.

قال تعالى: " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"[النحل :٤٤] فالنبي ﷺ منذ أن بعث وهو في مقام بيان.فسكوته إذًا عن الاحتفال بالمولد و عن الاحتفال بليلة الإسراء، و عدم تخصيصه لهما و لغيرهما من الأيام بأفعال مخصوصة يستلزم بدعية هذه الأعمال.

وبالمثال يتضح المقال : كيف نتعبد لله بسورة الفاتحة ؟

أقول : لقد حدد لنا الشرع ثلاثة مجالات للتعبد بسورة الفاتحة وهي :

١-الفاتحة ركن من أركان الصلاة :



روي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ.

٢- الفاتحة سورة من القرآن من قرأها فله بكل حرف منها عشر حسنات بفضل الله ورحمته :

روي الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع [حديث رقم : ٦٤٦٩] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ،والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: {الم} حرف ولكن: ألف حرف ولام حرف وميم حرف".

٣-الفاتحة رقية وشفاء – بإذن الله – من الأمراض النفسية والعضوية :

روي البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»

وهكذا يتبين لكم يا إخواني الكرام أنه ليس من مجالات التعبد بالفاتحة أن نقرأها قبل الخطبة أو عند إبرام عقود البيع والشراء أو علي أرواح الأموات ولو كانت هذه الأمور مشروعة لبينها لنا رسول الله ﷺ وهو القائل :

" إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه "

حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [حديث رقم : ٢٨٦٦]

قد يقول قائل : وهل يعذبنا الله علي قراءة الفاتحة قبل الخطبة ؟!!

قلتُ: لا يعذبكم الله علي قراءة الفاتحة ولكن يعذبكم علي خلاف السنة إن شاء ؛ أخرج



البيهقي في السنن الكبرى أن سعيد بن المسيب رأي رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة؟!

فقال: " لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة "

وأقول لإخواننا - الذين فتنوا بأن الفتوى بجواز تلك الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان قد صدرت من الشيخ فلان الذي يظهر في الفضائيات أو الشيخ فلان صاحب المنصب الرفيع أو غيرهما – مَن الأولي بالاتباع هم أم النبي صلي الله عليه وسلم ؟!!



الوقفة الخامسة :

الأصل في العبادات التوقيف

ومعنى ذلك هو أن لا يعتقد الناس في شيء أو في فعل أو قول أنه عبادة، حتى يأتي خطاب الشارع بذلك أي أن العبادة لا تثبت إلا بدليل من القرآن أو السنة وإليكم الأدلة علي ذلك :

١- روي مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عمل عملاً ليس علي أمرنا فهو رَدٌّ) ، أي: مردود عليه، قال الشاطبي في: "الاعتصام": (وهذا أصلٌ في أن الأصل في العبادات المنع والحظر.)

وبيانه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قيَّد قبول العبادة بأخذها عنه، وصدورها منه ﷺ ، إذ هو المبلغ عن الله ، فاعتبار غير ما قاله أو فعله من العبادات عبادة تُفعل أو تقال: اعتبارٌ مردودٌ على صاحبه؛ لأن ذلك محظورٌ عليه.

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : " تصرفات العبادات من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع، وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله والعبادة لا بد أن تكون مأمورًا بها، فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم بأنه عبادة؟! وما لم يثبت من العادات أنه منهي عنه كيف يحكم على أنه محظور؟! ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى وإلا دخلنا في معنى قوله: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ



مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١] والعادات الأصل فيها العفو فلا يحظر منها إلا ما حرمه، وإلا دخلنا في معنى قوله: {قلْ أرَأيْتُم ما أنَزلَ الله لَكمْ مِنْ رزقٍ فجعَلتُمْ منْهُ حَرامًا وَحلالاً} [يونس: ٥٩] انتهى.



الوقفة السادسة:

ما معني السنة التركية ؟ وكيف فهم الصحابة الترك من النبي صلي الله عليه وسلم ؟

ذكر الشيخ زكريا بن غلام قادر الباكستاني السنة التركية في كتابه "توضيح أصول الفقه علي منهج أهل الحديث" فقال ما يلي :

"ترك النبي صلى الله عليه وسلم لفعل ما مع وجود المقتضي له وانتفاء المانع يدل على أن ترك ذلك الفعل سنة وفعله بدعة

هذه القاعدة تعرف بالسنة التركية، وهي قاعدة جليلة فيها سد لباب الابتداع في الدين ويشترط لهذه القاعدة شرطان هما:

١ –وجود المقتضى. ٢ – انتفاء المانع.

فإذا لم يوجد المقتضي لذلك الفعل فلا يكون الترك سنة، كترك الأذان للعيدين فإن المقتضي موجود وهو الإعلام للعيدين ومع ذلك ترك النبي صلى الله عليه وسلم الأذان للعيدين فالترك هنا يدل على أنه سنة وأما مثال: الترك مع عدم وجود المقتضى، فترك النبي صلى الله عليه وسلم جمع القرآن، فلا يكون الترك هنا سنة، لأن المقتضي لم يكن موجوداً، ولذلك جمعه عمر بن الخطاب لما دعت الحاجة إليه.

فإن وجد المقتضى لذلك ولم ينتف المانع لم يدل على أن ترك ذلك سنة، كتركه صلى الله عليه وسلم

القيام مع أصحابه في رمضان، فإن المقتضي كان موجوداً، لكن كان هناك مانع موجود وهو خشيته صلى الله عليه وسلم أن يفرض عليهم القيام."

قال الإمام الشاطبي في كتابه الجليل (الاعتصام) وكأنه يرد على الذين يزعمون بأن الترك ليس بحجة: " إطلاق القول بأن الترك لا يوجب حكمًا في المتروك إلا جواز الترك غير جار على أصول الشرع الثابتة، فلنقرر هنا أصلًا لهذه المسألة لعل الله ينفع به من أنصف من نفسه، وذلك أن سكوت الشارع عن الحكم في مسألة ما أو تركه لأمر ما على ضربين:

ـ أحدهما: أن يسكت عنه أو يتركه لأنه لا داعية له تقتضيه، ولا موجب يقرر لأجله، ولا وقع سبب تقريره، كالنوازل الحادثة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها لم تكن موجودة ثم سكت عنها مع وجودها، وإنما حدثت بعد ذلك فاحتاج أهل الشريعة إلى النظر فيها وإجرائها على ما تبين في الكليات التي كمل بها الدين، وإلى هذا الضرب يرجع جميع ما نظر فيه السلف الصالح مما لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخصوص مما هو معقول المعنى، كتضمين الصناع ومسألة الحرام والجد مع الإخوة وعول الفرائض، ومنه جمع المصحف ثم تدوين الشرائع وما أشبه ذلك، مما لم يحتج في زمانه عليه السلام إلى تقريره .

ـ والضرب الثاني: أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص أو يترك أمرا ما من الأمور، وموجبه المقتضي له قائم، وسببه في زمان الوحي وفيما بعده موجود ثابت، إلا إنه لم يحدَّد فيه أمر زائد على ما كان في ذلك الوقت، فالسكوت في هذا الضرب كالنص على أن القصد الشرعي فيه أن لا يزاد فيه على ما كان من الحكم العام في أمثاله ولا ينقص منه؛ لأنه لما كان المعنى الموجب لشرعية الحكم العقلي الخاص موجودًا، ثم لم يشرع ولا نبه على استنباطه، كان صريحًا في أن الزائد على ما ثبت

هنالك بدعة زائدة ومخالفة لقصد الشارع؛ إذ فهم من قصده الوقوف عندما حد هنالك، لا الزيادة عليه ولا النقصان منه " انتهي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : " والترك الراتب سنة كما أن الفعل الراتب: سنة، بخلاف ما كان تركه لعدم مقتض، أو فوات شرط، أو وجود مانع، وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة على فعله حينئذ، كجمع القرآن في الصحف، وجمع الناس على إمام واحد في التراويح، وأسماء النقلة للعلم، وغير ذلك مما يحتاج إليه في الدين، وبحيث لا تتم الواجبات أو المستحبات الشرعية إلا به، وإنما تركه النبي صلى الله عليه وسلم لفوات شرط أو وجود مانع، فأما ما تركه من جنس العبادات، مع أنه لو كان مشروعًا لفعله،أو أذن فيه وفعله الخلفاء بعده والصحابة،فيجب القطع بأن فعله بدعة وضلالة."

قلتُ : والبدعة كما عرفها الإمام الشاطبي رحمه الله فقال : " البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه " (انتبه إلي لفظ تضاهي : أي تشابه)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم : " ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وجود ما يعتقد مقتضيًا، وزوال المانع، سنة، كما أن فعله سنة. فلما أمر بالأذان في الجمعة، وصلى العيدين بلا أذان ولا إقامة، كان ترك الأذان فيهما سنة، فليس لأحد أن يزيد في ذلك، بل الزيادة في ذلك كالزيادة في أعداد الصلوات أو أعداد الركعات، أو صيام الشهر، أو الحج، فإن رجلا لو أحب أن يصلي الظهر خمس ركعات وقال: هذا زيادة عمل صالح، لم يكن له ذلك. وكذلك لو أراد أن ينصب مكانًا آخر يقصد لدعاء الله فيه وذكره، لم يكن له ذلك، وليس له أن يقول: هذه بدعة حسنة، بل يقال له كل بدعة ضلالة.ونحن نعلم أن هذا ضلالة قبل أن نعلم نهيًا خاصًا عنها، أو نعلم ما فيها من المفسدة. فهذا مثال لما حدث، مع قيام المقتضى له، وزوال المانع لو كان خيرًا. فإن

كل ما يبديه المحدث لهذا من المصلحة، أو يستدل به من الأدلة، قد كان ثابتًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع هذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الترك سنة خاصة، مقدمة على كل عموم وكل قياس."

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين : "فإن تركه سنة كما أن فعله سنة، فإذا استحببنا فعل ما تركه كان نظير استحبابنا ترك ما فعله ولا فرق، فإن قيل من أين لكم أنه لم يفعله وعدم النقل لا يستلزم العدم؟ فهذا سؤال بعيد جداً عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه، ولو صح هذا السؤال وَقُبِلَ لاستحب لنا مُسْتَحِبّ الأذان للتراويح وقال: من أين لكم أنه لم ينقل؟ واستحب لنا مستحب آخر الغسل لكل صلاة وقال: من أين لكم أنه لم ينقل؟ وانفتح باب البدعة، وقال كل من دعا إلى بدعة: من أين لكم أن هذا لم ينقل؟!." انتهى.

قلتُ تعليقًا علي كلام الإمام ابن القيم رحمه الله :

" والقول بأن عدم النقل لا يستلزم العدم يقتضي بأن الدين لم يحفظ وهذا محال لأن الدين كله من كتاب وسنة محفوظ بحفظ الله تبارك وتعالي له.

قال تعالي: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

والصحابة – رضوان الله عليهم – لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من أمر الدين إلا وقد نقلوها إلينا وها نحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري والقرآن والسنة بين أيدينا لا يزالان غضين طريين لم يتغيرا ولم يتبدلا فليس هناك مجال لمستحسن يشرع لنا من العبادات ما لم يشرعه الله ورسوله صلي الله عليه وسلم."

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن:كيف فهم الصحابة الترك من النبي صلي الله عليه وسلم ؟



وللإجابة عن هذا السؤال أذكر لكم أربعة أمثلة توضح بجلاء كيف فهم الصحابة الترك من النبي صلي الله عليه وسلم :

مثال١ : روي البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ مَيْمُونَةَ، فَأُتِيَ بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، فَقَالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ: أَخْبِرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، فَقُلْتُ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ» ، قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ

مثال٢ : روي مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّه كَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ» ، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ - أَوْ مَا كَرِهْتَ -، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى

قال محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله : (يؤتى) معناه تأتيه الملائكة والوحي كما جاء في الحديث الآخر إني أناجي من لا تناجي وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم

التعليق :انظر - رحمني الله وإياك - كيف فهم الصحابيان الجليلان خالد بن الوليد وأبو أيوب الأنصاري أن الترك من النبي صلي الله عليه وسلم يستلزم حرمة المتروك ولم ينكر النبي صلي الله عليه وسلم عليهما هذا الفهم لكنه بين لهما أن تركه لأكل الضب والثوم لعلتين خاصتين به صلي الله عليه وسلم ولهذا لا يدخل ذلك في باب التشريع.



مثال٣: روى الدارمي بسنده إلى عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعًا. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة؟ فيكبرون مائة. فيقول: هللوا مائة؟ فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة؟ فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا. انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم – صلى الله عليه وسلم – متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه. إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

التعليق:

هذا الموقف من أعظم الحجج على القائلين بأن ترك النبي صلى الله عليه وسلم ليس بحجة لأن التكبير والتهليل والتسبيح – رغم أنه مأمور به – لم يقر عبد الله بن مسعود هؤلاء علي ما يفعلون

لأن الهيئة والكيفية التي فعلوا بها هذه العبادة العظيمة قد تركها النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل علي أن تركه صلى الله عليه وسلم حجة.

مثال ٤: روى الترمذي والحاكم أن رجلاً عطس وهو يجلس بجوار عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - فقال: الحمد لله والسلام على رسوله.

فقال له عبد الله بن عمر: " وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال ".

تدبر - رحمني الله وإياك – هذا الموقف من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف أنكر علي الرجل عبارة " والسلام علي رسوله " رغم أننا مأمورون بالصلاة والسلام علي النبي صلي الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم لكن ترك النبي صلي الله عليه وسلم لذلك عند العطس يوجب علينا أن نقف عند حدود ما تعلمناه منه صلي الله عليه وسلم بلا زيادة ولا نقصان .

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في فضل علم السلف :

"فأمَّا ما اتفق السلف على تركه، فلا يجوز العمل به؛ لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يُعمل به".

وكان حذيفة - رضي الله عنه- يقول:" كل عبادة لا يتعبَّدها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً. "

وهكذا أيها الإخوة الأعزاء يتبين لكم بالأدلة القاطعة أن قاعدة الترك ليس بحجة قد بنيت علي شفا جرفٍ هارٍ فلا يصح إذًا أن تُبني عليها عبادات مخترعة ما أنزل الله بها من سلطان وهي قاعدة منهارة ليس لها حظ من دليل ؛ قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في إعلام الموقعين: "أما أن نقعد قاعدة ونقول هذا هو الأصل، ثم ترد السنة لأجل مخالفة تلك القاعدة، فلعمر الله، لهدم ألف قاعدة لم يؤصلها الله ورسوله أفرض علينا من ردَّ حديث واحد." انتهى.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : "بعد أن أثنى على أهل الحديث: فلا ينصبون مقالة، ويجعلونها من أصول دينهم، وجمل كلامهم، إن لم تكن تابعة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه."



الوقفة السابعة :

لا يلزم من كون العبادة المخترعة بدعة أن صاحبها مبتدع

- قال د. ناصر بن عبد الكريم العقل في "شرح مجمل أصول أهل السنة" :

"لا نقل: هذا مبتدع ومن أهل الأهواء والبدع إلا عندما تجتمع هذه الشروط في وصفين: الوصف الأول: إذا كان على نهج فرقة من الفرق المبتدعة، يلتزم نهجها ويدين بها ويعتقد ما تقوله في الجملة ولو لم يكن يعرف التفاصيل؛ إذا انتمى إلى فرقة مبتدعة وتسلم بنهجها فهو مبتدع.

الوصف الثاني: إذا كان صاحب البدعة تكاثرت عنده البدع، حتى أصبح هديه وسمته وسلوكه سلوك أهل البدع، فهذا يسمى مبتدعًا، أما إذا عمل ببدعة صغيرة جزئية وبقية أموره على السنة فهذه زلة، ولا يقال: صاحبها مبتدع."

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" :

" قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١] فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكًا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله.

نعم: قد يكون متأولًا في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله، إذا كان مجتهدًا الاجتهاد الذي يعفى فيه عن المخطئ ويثاب أيضا على اجتهاده، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قولا أو عملا قد علم الصواب في خلافه، وإن كان القائل أو الفاعل مأجورًا أو معذورًا "

- قال الشيخ شحاتة صقر في كتابه "كشف البدع والرد علي اللمع" :

"الحكم علي العمل الحادث أنه بدعة إنما هو حكم جارٍ علي وفق القواعد العلمية والضوابط الأصولية التي يصدر عن دراستها وتطبيقها ذلك الحكم بوضوح وبيان ، أما صاحب هذه البدعة

فقد يكون مجتهدًا ، فمثل هذا الاجتهاد – ولو أنه خطأ – فإنه يدرأ عنه الوصف بالابتداع ، وقد يكون جاهلًا فيُنفي عنه – لجهله – الوصف بسمة الابتداع مع ترتيب الإثم عليه ؛ لتقصيره في طلب العلم . وقد تكون هناك موانع أخري من الحكم علي مرتكب البدعة بالابتداع.

أما من أصر علي بدعته بعد ظهور الحق له ؛ اتباعًا للآباء والأجداد ، وجريًا وراء المألوف والمعتاد فمثل هذا يليق به الوصف بالابتداع ؛ لإعراضه عن الحق."



الوقفة الثامنة :

الحقُّ أحقُّ أن يتبع .

ليس المطلوب من العبد أن يكون متميزا بالعصمة من الوقوع في الخطأ مع الخلق أو الخالق، فهو في النهاية بشر والخطأ والنسيان من طبائعه لكن المطلوب أن يكون قريب العودة إلى الحق سريع الأوبة إلى الله تعالى ، والمطالع لسير السلف الصالح رضي الله عنهم لن يجدهم متميزين بالعصمة لكنه يقينا سيجدهم ممن قلت أخطاؤهم ومع ذلك فهم أحق الناس بأن يكونوا ممن قال الله تعالى فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ). وهم أحق الناس بفضيلة المسارعة إلى الرجوع للحق ..هذه الفضيلة التي أساسها أنك إذا جانبت الصواب، والتبست عليك الأمور، وكنت واهمًا في موضوع من الموضوعات، ثم ظهر لك الحق واستبان لك فعليك أن ترجع إليه، وهذه فضيلة من أعظم الفضائل، ولولا هذه الفضيلة لهلك الناس، لبقي الضال ضالًا، والواهم واهمًا، والمخطئ مخطئًا، والمفتري مفتريًا، ولضاعت معالم الحق ، ولدفع الناس ثمن إصرارهم على انحرافهم الأثمان الباهظة.

إذا لم تكن عند كل واحد منا الرغبة في التقويم؛ فلن يتعلم ولن يتقدم ولن يهتدي، وكلام الأئمة في تواضعهم، كلام أئمة الفقه والعلم معروف مشهور؛ قال الشافعي رحمه الله: كل مسألة تكلمت فيها بخلاف الكتاب والسنة، فإني راجع عن كلامي في حياتي وبعد مماتي، وكذلك قال مالك رحمه الله، والنبي صلى الله عليه وسلم علمنا أن نقبل الحق ولو من الكافر، ولو من اليهودي، عن قتيلة الجهنية قالت: (إن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا:

ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت) أخرجه الإمام أحمد والنسائي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [حديث رقم ١٣٦]

إذًا: لم يجد النبي صلى الله عليه وسلم أي غضاضة من قبول تنبيه اليهودي لأنه حق، وأخذ به، وأمر أصحابه به واعتمده، وهكذا يقبل الحق من أي مكان جاء، ومن أي شخص مهما كان كبيراً أو صغيراً، وعلى هذا جرى سلفنا الصالح.

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : "لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهّديت فيه لرشدك أن ترجع فيه إلى الحق فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل" رواه البيهقي والدار قطني.

وقال ابن رجب في الفرق بين النصيحة والتعيير:" كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيرًا ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غيره قولهم." هـ

وقال الإمام الآجري في أخلاق العلماء : "إن أفتى بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها وإن قال قولاً فرده عليه غير ممن هو أعلم أو مثله أو دونه فعلم أن القول كذلك رجع عن قوله وحمده على ذلك وجزاه خيرًا. "

قال بعض الأئمة : " لأن أكون ذنبًا في الحق خير من أن أكون رأسًا في الباطل"

قال الإمام ابن القيم في كتاب الفوائد ما ملخصه :" كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم

يتم لما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولاسيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به، ولا شبة فيه، أقدم على مخالفته! وقال: لي مخرج بالتوبة!

وفي هؤلاء وأشباههم قال الله تبارك وتعالي: "فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"[الأعراف:١٦٩] ، فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه فهم مصرون على ذلك وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه! فتارة يقولون على الله مالا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه."انتهي

إن الرجوع إلى الحق يوجب للمرء من الجلالة والنبل وحسن الثناء ما لا يكون في تصميمه على الباطل بل ليس في التصميم على الباطل إلا محض النقص له والإزراء عليه والاستصغار لشأنه فإن منهج الحق واضح المنار يفهمه أهل العلم ويعرفون براهينه ولاسيما عند المناظرة فإذا زاغ عنه زائغ تعصباً لقول قد قاله أو رأي رآه فإنه لا محالة بكون عند من يطلع على ذلك من أهل العلم أحد رجلين:

إما متعصب مجادل مكابر إن كان له من الفهم والعلم ما يدرك به الحق ويتميز به الصواب

أو جاهل فاسد الفهم باطل التصور إن لم يكن له من العلم ما يتوصل به إلى معرفة بطلان ما صمم عليه وجادل عنه وكلا هذين المطعنين فيه غاية الشين.





إن العيب كل العيب أنه إذا تبين له الخطأ يصر على خطئه وباطله، ويدافع عنه وينافح، ويرد النصوص الشرعية، ويرد منهج السلف الصالح؛ لأجل إصراره على موقفه.

أما الراجعون إلى الحق نقول لهم جزاكم الله خيراً وأصلح الله حالنا وحالكم.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} والمترفون هم "الملأ"، وجوابهم على دعوة رسل الله أنَّهم وجدوا آباءهم على ملة ودين، وأنَّهم مقتفون أثرهم لا يحيدون عن ذلك، وهذا من جهلهم؛ لأن الباطل لا يتابع، وأنَّ الحق أحق أن يُتَّبَع، وهذا التقليد الذميم للباطل القديم الذي كان عليه الآباء والأجداد من أعظم أسباب التمرُّد على الحق، قال تعالى في داء التقليد الذميم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}

لأن الدين كامل بإكمال الله له، لا يعوزه احتفال بالمولد النبوي ولا قراءة للفاتحة علي الأموات فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «تركتكم على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك»

فيا عبد الله! أيها ينجيك عند الله: تقليد الآباء والأجداد، أم اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؟!! وما الذي سيقبله الله منك؛ أن تقول: وجدت أبي وجدي، والمجتمع من حولي علي ذلك ، أو أن تعترف بما في الكتاب والسنة، وترجع إلي الطريق المستقيم؟

إن النجاة في طريق الفرقة الناجية المنصورة فرقة أهل السنة والجماعة وهي واضحة المعالم، بيّنة القسمات، متميّزة عمّا عداها، فهيّا إلى هذا الطريق الواضح الصحيح، والله ناصر من نصر دينه.

والآن وقد تبين لكم جميعًا حدود السنة التركية وضوابطها هل من عودة حميدة إلي الحق ؟ هل من عودة سديدة تضع الأمور في نصابها وتنقذ الأمة من شر البدع ؟



هذا هو الرجاء والأمل ، وحين تسمو نفس المسلم إلى هذا المستوى ، عندئذ تتفتح أمامه أبواب الخير، من خلال عودته إلي الحق فترتفع مكانته عند الله وتحسن سيرته بين الخلق وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال تعالي " الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ " [الزمر: ١٨]

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن يخافك في الغيب والشهادة، وممن يقول كلمة الحق في الغضب والرضا، اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك.

اللهم إنا نسألك أن تعتق رقابنا من النار، وأن تجعلنا من أهل الجنة الأبرار، اللهم إنك أنت الرحمن الرحيم فارحم عبادك المؤمنين ، اللهم ارفع البأس عن المسلمين، اللهم ارفع البأس عن المسلمين، اللهم ارفع البأس عن المسلمين، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وأنت نعم المولي ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: التفسير:

التفسير الميسر : إعداد نخبة من العلماء تحت إشراف الشيخ / صالح آل الشيخ

ثالثًا: كتب العقيدة :

١. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : شيخ الإسلام/ أحمد بن تيمية
٢. بارقة الأمل في شروط قبول العمل : د/ هيثم بن محمد بن حمدان
٣. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية : الشيخ/ محمد المغراوي
٤. مجمل أصول أهل السنة (محاضرات مفرغة) : د/ ناصر بن عبد الكريم العقل

رابعًا: كتب الحديث وعلومه :

١. صحيح البخاري : الإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري شرح وتعليق دكتور/ مصطفي البغا
٢. صحيح مسلم : الإمام/ مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي
٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته: الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني
٤. سنن الترمذي: الإمام / محمد بن عيسى بن سورة الترمذي
٥. سنن الدارمي: الإمام / أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي
٦. شعب الإيمان : الإمام / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي
٧. المستدرك علي الصحيحين : الإمام / أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم

خامسًا: كتب الفقه وأصوله:

١. مجموع الفتاوى : شيخ الإسلام/ أحمد بن تيمية





٢. نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان : د.سيد حسين العفاني

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين : الإمام/ ابن القيم

٤. الاعتصام : الإمام/ الشاطبي

٥.توضيح أصول الفقه علي منهج أهل الحديث : الشيخ/ زكريا بن غلام قادر الباكستاني

٦. كشف البدع والرد علي اللمع : الشيخ/ شحاتة صقر

٧. تيسير علم أصول الفقه : الشيخ/ عبد الله بن يوسف الجديع

سادسًا: كتب الرقائق :

١. الفوائد : الإمام/ ابن القيم

سابعًا: كتب عامة :

١. فضل علم السلف : الإمام/ ابن رجب الحنبلي

٢. الفرق بين النصيحة والتعيير: الإمام/ ابن رجب الحنبلي

٣. أخلاق العلماء : الإمام/ الآجري

٤. محاضرة الرجوع للحق (محاضرة مفرغة) : الشيخ/ محمد صالح المنجد

ثامنًا: مقالات علي الشبكة العنكبوتية :

١. وجوب الرجوع إلي السنة وتحريم مخالفتها : الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني (موقع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني)

٢. حوار حول الاحتفال بالمولد النبوي : الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني (موقع صيد الفوائد)

٣. الرجوع إلي الحق فضيلة : موقع إسلام ويب

٤. حكم الاحتفال بمولد الرسول العدنان ﷺ : منتدى إنما المؤمنون إخوة

تاسعًا: الموسوعة الشاملة



الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**



اقرأ للمؤلف أيضًا :

بارقة الأمل في شروط قبول العمل

- حتى يكون العمل صالحًا مقبولًا عند الله بمنه وكرمه لابد أن يستوفي ثلاثة شروط ؛ في هذا الكتاب نتعرف علي هذه الشروط ، وكذلك الآفات التي تعترض المسلم في سبيله لتحقيق هذه الشروط.

- بارقة الأمل في شروط قبول العمل هو أول كتاب مستقل منفصل في شروط قبول العمل.

- بارقة الأمل في شروط قبول العمل منهج حياة لكل مسلم.

* بارقة الأمل في شروط قبول العمل متوفر في :

- مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا
- مكتبة الإيمان بالمنصورة : شارع عبد السلام عارف
- موقع صيد الفوائد علي الشبكة العنكبوتية

الضوابط الشرعية للتعامل مع القضايا اليومية

هذا الكتاب إهداء إلي : كل من يريد أن يعيش بالقرآن والسنة..

إلي كل من يريد أن يميز بين ألأخبار الصحيحة والأخبار الكاذبة..

إلي كل من يبحث عن السعادة الزوجية..

إلي كل من يريد أن يستمتع بسماحة الإسلام بعيدًا عن التشدد والغلو.

* الضوابط الشرعية للتعامل مع القضايا اليومية متوفر علي موقع صيد الفوائد علي الشبكة العنكبوتية

د. هيثم بن محمد بن حمدان

